الأَبعاد الحِجاجِية للمُناظَرة في رومِيات أَبِي فِراس الحمداني
(مناظراته للدِّمُسْتُق أُنموذجًا)*

The argument dimensions of the debate in (Al-Rumyyat) Abu Firas al-Hamdani
(Case of his debates with the Dumastaq)

د. محمد رجب عبد الحليم المنشاوي
جامعة عين شمس – مصر
البريد الالكتروني :m.elmenshawy411@gmail.com

ملخَّص : يُعْنَى هذا البحثُ بدراسة التقنيَّات الحِجَاجيَّة لفن المُناظَرة باعتبارها نوعًا من أنواع الحوار الحِجَاجي الذي يدور بين طَرَفَيْن، فيحاول كُلُّ طَرَفٍ منهما إلجامَ الآخَر، وإبطالَ حُجَجِه، ومن ثمَّ التغلُّب عليه، وقد اختار الباحثُ مناظرة أبي فراس الحمداني للدُّمُسْتُق إمبراطور الروم متنًا للدِّراسة؛ فقد جَرَتْ بينهما مناظَرَاتٌ في بلاط الدُّمُسْتُق الذي حاول التقليلَ من شأنِ أبي فراس، والاستهزاءَ بقومه، فقد رُوي أنَّه اتهمَهُم بأنَّهم كُتَّابٌ أصحابُ أقلام وليسوا أصحابَ سُيوف، ممَّا دَفَع أبا فراس – وقد أصبح مناظِرًا له – إلى استعمالِ عددٍ من الآليَّات الحِجَاجيَّة للتغلُّب عليه، وكان أكثرها بروزًا في المُناظَرة آليَّة الحِجَاج بالسُّخرية، كما اعتمد الشاعرُ على آليَّة الاستفهام الحِجاجي الاستنكاري القائم على السُّخرية كذلك . وقد استطاع أبو فراس التغلُّبَ على مُناظِره الدُّمُسْتُق، وإبطال دعواه، كما وُفِّق في الدِّفاع عن البطولة العربيَّة التي أذَلَّت الروم البيزنطيين من خلال عَرْضِه في القصيدة لهزائم قادة الروم المتعدِّدة أمام جيش الحمدانيين .

كلمات مفتاحية : أبو فراس الحمداني – المناظرة – الروميَّات – الدُّمُسْتُق - نظرية الحِجَاج .

Abstract: This research is concerned with studying the argumentation techniques of the art of argumentative discourse that occurs between two parties. Each of which attempts to prove his argument against his rival. and at the same time invalidates his arguments, and then overcomes him. The researcher chose the debate of Abu Firas al-Hamdani to the Roman Emperor (Dumastaq) as a subject of study. There were debates between them in the court of the Roman Emperor (Dumastaq), who was trying to downplay Abu Firas, and mock his people since they were pen holders and are not swordsmen. This led Abu Firas-

* تاريخ استلام البحث: 2021/09/18 تاريخ قبول البحث: 2022/02/03 تاريخ النشر:2022/05/15

who became his debater- to use some argumentation mechanisms to overawed him. The most prominent of them in the debate was the mechanism of ironic argument. In this, the poet also used the-deplorable questioning mechanism based on irony. At the end, Abu Firas was able to defeat his rival (Dumastaq) in the debate and stop his efforts and arguments, and also succeeded in defending the Arab power that humiliated the Byzantines by presenting in this poem the multiple defeats of the Roman leaders in front of the Hamdani army.

Keywords: Abu Firas Al-Hamdani - debate - Al-Rumyyat - Al-Dumustaq - argumantion theory

مُقَدِّمة :

تُعَدُّ المُناظَرَة من أبرز تجليات السِّجال في الفِكر الإسلامي القديم ارتبَطَت أوَّل ما ارتَبَطَت بعِلْمَي الكلام وأُصول الفقه ذلك أنَّ المتكلِّمين كانوا يعقدون مناظرات طويلة يناقشون خلالها شتَّى الآراء، ويتعرَّضونَ فيها إلى كافَّة الموضوعات من دينيَّة وعلميَّة وأدبيَّة. وبذلك نشأ على يدهم فن المناظَرَة بأُسلوبه وطريقته الخاصَّة في طرح الموضوع والتوسُّع فيه، وتطوَّرت المناظَرَة حتى صارت فنًا قائمًا بذاته، وأسلوبًا يستعمله الأدباء المتكلمون لعرض رأيين مختَلِفَيْن. وللمناظرة مكانة كبيرة في الفكر الإسلامي، "إذ لم يُطَبَّق ولم يُعمَّم منهج على جميع مجالات المعرفة مثلما طُبِّق وعُمِّمَ منهج المناظرة في هذا التراث، فأكسبه خصبًا فلسفيًّا متميِّزًا؛ فقد أُقيمت مجالس للمحاورة عُرِفَت بـ(المناظرات) كما وُضِعَت تآليف على طريقة المناظرة في مختلِف الميادين، وظهرت صنوف من الخطابات تقر بالمناظرة منهجًا فكريًّا مثل (خطاب التهافُت) و(خطاب التعارُض) و(خطاب الرَّد) و(وخطاب النقض) وما إليها؛ بل حيثما وُجِدَت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجال من مجالات المعرفة الإسلاميَّة، كانت المُناظرة طريقة التعامل بينها، وهذا شأنُ الفِقه (باب الخلاف) والنحو (باب القياس) والأدب (النقائض)، ولم تكُن المناظرة وجه تفاعل التيارات التي تنتسب إلى قطاع عِلمي واحد فحسب، بل طَبَعَت أيضًا التعامل بين أهل العلم من قطاعات مختلفة (المناظرة بين أبي سعيد السِّيرافي النحوي وأبي بِشر متَّى بن يونس الفيلسوف)"[1]، وهي المناظرة التي سجَّلها أبو حيَّان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة، وتهدف إلى تفضيل النحو على المنطق.

والمناظرة ليست فنًّا مستحدثًا في أدبنا العربي الحديث؛ فقد "عرف العربُ في تاريخهم القديم صورًا من المناظرات المشهورة كالمناظرة المنسوبة للنُّعمان بن المنذر وكسرى أنوشروان في شأن العرب، ومناظرة يوحنا بن إسرائيل الذمّي مع علماء المذاهِب الأربعة في بغداد، وكثرت المناظرات في القرن الرابع الهجري كمناظرة أصحاب أبي تمّام وأصحاب البُحتُري التى أثبتها الآمدي في بداية كتابه (الموازنة بين الطائيين)"[2]، والمناظرة التي دارت بين بديع الزمان الهمذاني والخوارزمي، التي خرج منها الهمذاني رابحًا حتى أنَّ بعض المؤرخين قد ذهب إلى أنَّ سبب موت الخوارزمي راجعٌ لخسارته المُناظرة. والمناظرة بين أبي الطيِّب المتنبي والحاتمي التي وقعت في مجلس المتنبي، وهي مناظرة من طرف واحد قريبة الشَّبه بمناظرة أبي فراس للدُّمُسْتُق؛ لأنَّ الحاتمي كان فيها المتحكِّم الوحيد فلم يترك فُرصةً للمتنبي للدِّفاع عن نفسه، كما أنَّ المتنبي آثَر الصَّمت والترفُّع عن إجابتهم ولمَّا سُئل عن أمرهم، أجاب: "إنِّي فرَغتُ من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشُّعراء"[3]. ونجد كذلك المناظرة النحويَّة المشهورة للفرَّاء، والتي "كان موضوعُها: ما يراه سيبويه من أنَّ العاملَ في المبتدأ هو الابتداء، وما يراه الفرَّاء وغيرُه من الكوفيين من أنَّ العامِلَ في المبتدأ هو الخبر، والمناظرة مرويَّة على هذه الصورة"[4]، وأخيرًا المناظرة بين أبي سعيد السيرافي ومتَّى بن يونس التي أشرنا إليها سَلَفًا، وغيرها من المناظرات التي سجَّلَتها كُتُب الأدب والفلسفة.

والمناظرة عبارة عن خطاب حجاجي يعتمد في المقام الأوَّل على التأثير والإقناع، ولا يتم هذان الأمران إلَّا عن طريق الحجج التي توجّه المتلقي حسب رغبة المُرسِل (المتكلِّم) لذا سنعتمدُ في تحليل القصيدتين على إبراز الآليَّات الحجاجيَّة التي توسَّل بها أبو فراس الحمداني في مناظرته ملك الروم، وتوضيح البُعد الحِجاجي والإقناعي لكُل آليَّة على حدة.

كان أبو فراس الحمداني فارسًا عربيًّا شجاعًا، انتصَرَ على الروم في معارك عدَّة، ولكنَّه وقع في الأسر فحُبِس في بلاد الروم فترةً ليست بالقليلة، وقد اختلف الرواة حول عدد المرَّات التي وقَعَ فيها أبو فراس أسيرًا في أيدي الروم، فمنهم من يؤكِّد أنَّه أُسِرَ مرَّةً واحدة، ويمثِّل هذا الرأي الثعالبي (ت 429هـ) الذي يميل إلى رواية ابن خالويه مؤدِّب الشاعر وراوي أشعاره؛ فقد روى لنا خبر أسره قائلاً: "وفي ذات يوم من أيَّام شوَّال سنة 351هـ كان أبو فراس يتصيَّد بنواحي منبج في سبعين فارسًا، فباغته الروم في ألف رجل تحت قيادة بودرُس ابن مرديس البطريق، فأراده أصحابُه على الهزيمة فأبَى وثَبَتَ حتى أُثخن بالجراح وأُسِر، وأصابه سهم بقي نصله في فخذه، فوقع أسيرًا، واقتيد إلى خرشنة، ثم إلى القسطنطينيَّة"[5]، ومنهم من يرى أنَّه أُسِر مرَّتَيْن ويمثِّل هذا الرأي ابن خلِّكان،

قائلاً: "أُسِر أبو فراس مرَّتَيْن: المرَّة الأولى في مغارة الكحل سنة 348هـ وما تعدوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم، والفرات يجري من تحتها، وفيها يُقال إنَّه ركب فرسه وركضه برجله، فأهوى من أعلى الحِصن إلى الفرات، والمرَّة الثانية أسَرَه الروم على منبج في شوَّال 351هـ وحملوه إلى القسطنطينيَّة"(6).

وإن كان الباحثُ يميل إلى ترجيح رأي كُلٍ من الثعالبي وابن خالويه؛ لأنَّهما من معاصِري أبي فراس، مقارنة بابن خلكان الذي لم يكن من معاصري الشاعر، كما أنَّ ديوان الشاعر يفصل في هذه القضية فنعرف من خلاله أنَّه أُسِرَ مرَّةً واحدة.

عانى أبو فراس جرَّاء أسره ببلاد الروم، وعاش بها سجينًا وحيدًا، بعيدًا عن أُمِّه وأهله، ونَظَم خلال سنوات الأسر أشعاره التي عُرِفَت بـ(الروميَّات)، وكان أوَّل مَن أطلق اسم الروميَّات على نتاج الأسْر الثعالبي في كتابه يتيمة الدَّهر، وقد شاعت هذه التسمية بين الأدباء والمؤرخين – قديمًا وحديثًا – ولم تُعرَف باسم آخَر إلاَّ ما كان من ابن رشيق القيرواني الذي سمَّاها (الأسْريَّات)(7)، وأيًا ما كانت التسمية فروميَّات أبي فراس هي تلك القصائد التي أرسلها من سجنه في بلاد الروم – حين أُسِر – إلى قومه، وأميره سيف الدولة، ووالدته، وتبلغ سجنيَّات أبي فراس "ثلاثين قصيدة وخمس عشرة مقطوعة"(8) يتجلَّى فيها تصويره لحاله في الأسْر وما يعيش فيه من أجواء قاسية، ومعاتبة سيف الدولة على الإبطاء في افتدائه، كما يتجلَّى فيها مناظراته لقادة الروم، الدُّمُستُق على وجه الخصوص.

وقد نَقَلَ لَنا أبو فِراس جانبًا من معاملة الروم لأسرى المسلمين في بلاد الروم، وذلك عند قدومه القسطنطينيَّة أسيرًا، بقولِهِ : "لَمَّا حَصَلْتُ بالقُسطنطينيَّة أكرَمَني المَلِكُ إكرامًا لم يُكْرِمْهُ أسيرًا قط، وذلك أنَّ من رسومهم أن لا يركبَ أسيرٌ في مدينة قبل لقائه المَلِك، وأن يمشي في ملعَبٍ لهم يُعرَف بالبُطرُم مكشوفَ الرأس ويسجُدُ فيه ثلاثَ ساعاتٍ أو نحوها، ويدوسُ المَلِكُ رَقَبَتَه في مجمَعٍ لهم يُعرَف بالفُوروم، فَأعفَاني من ذلك كُلِّه، ونَقَلَني لوقتي إلى دارٍ جَعَلَ لي فيها مَنْ يخدُمُني، ونَقَلَ إلَيَّ مَنْ أرَدْتُ من أسرى المسلمين، وبَذَلَ لي المفادَاةَ بي مُفرَدًا فَأَبَيتُ"(9).

يُلاحَظ من رواية أبي فراس أنَّه كان أسيرًا استثنائيًّا في تعامُلِ الروم معه مُقارنَةً بباقي أسرى المسلمين الذين حَرِصَ مَلِكُ الروم على إذلالهم وإهانتهم، ولعلَّ السبب في إكرامهم لأبي فراس مردُّه إلى موقِعه من الإمارة والمُلْك؛ فهو أميرٌ حمداني واجههم بِشَرَفٍ في ساحات الوغى، وانتصر عليهم

في عِدَّة معارك فوجَبَ عليهم تقديره واحترامه، وربَّما لأنَّ الرُّوم أخواله فأرادوا أن يُحسِنوا معاملته كما يعاملُ الخالُ ابنَ أُخته، هذا إن صحَّت رواية أنَّ الروم أخوال الشاعر؛ لأنَّ بعض النُّقَّاد كوَّنوا هذا الرأي من بيت شِعرٍ نُسِبَ لأبي فِراس، وربَّما نُسِبَ لغَيرِه، جاء فيه:

إِذَا خِفْتُ مِنْ أَخْوَالِيَ الرُّومِ خُطَّةً تَخَوَّفْتُ مِنْ أَعْمَامِيَ العُرْبِ أربَعَا[10]

وعلى الرَّغم من بعض الامتيازات التي منحها الروم – في بداية الأَسْرِ – لأبي فراس، إلَّا أنَّ ذلك لم يمنعه من أن يُعامِلهم – في عُقْرِ دارِهم – بأَنَفَةٍ وَعِزَّةٍ وكِبرياء، ممَّا دَفَع الدُّمُسْتُق في نهاية الأمر إلى محاولة إذلال أبي فراس، وإهانته، فكان يدعوه بين الحينِ والآخَر إلى بلاطه ليناظِره، محاولًا استفزازه. والذي يدلُّنا على مقابلة أبي فراس إكرامهم له بالتجاهُلِ والكبرياء، ما قاله مُفتَخِرًا، حين "بَلَغَه أنَّ الروم، قالت: ما أَسَرْنَا أحدًا لَم نسلُب سِلاحَه غير أبي فراس"[11]:

يَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي وإِنَّمَا عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمُ حُمْرُ[12]

ويُعدُّ الثعالبي من أوائل النقَّاد العرب الذين ألمحوا إلى وقوع مناظرات بين أبي فراس وامبراطور الروم الدُّمُسْتُق، وهو أسيرٌ في بلاد الروم؛ فأوردَ في يتيمته: "وأحفظَ أبو فراس الدُّمُسْتُق في مناظرة جَرَت بينهما فقال له الدُّمُسْتُق: إنَّما أنتم كُتَّاب ولا تعرفون الحرب، فقال له أبو فراس: نحن نطأ أرضَك منذ ستِّين سَنة بالسيوف أم بالأقلام؟ ثم قال أبياته"[13]. وإن كان الثعالبي قد اعتمد على رواية ابن خالويه التي ذَكَرَها خلال تقديمه لمناسبة القصيدة، أو لنَقُل إنَّه نقلها نقلًا عن ابن خالويه شارح الديوان الذي أخبرنا عن وقوع مناظرات بين أبي فراس الحمداني والدُّمُسْتُق.

وهذه الرواية يُصادِقُ عليها بعضُ المؤرخين للدولة الرومانيَّة، ويُعدُّ (ن. أدونتس، وكانار) في مقالهما المنشور بمجلَّة Byzantian سنة 1936م، من أوائل المؤرخين الذين أشاروا إلى البُعد الجدلي والحِجاجي للقصيدَتَيْن، قائلَيْن: "وُضِعَت المقطوعة المذكورة بالقسطنطينيَّة نفسها على الأرجح، بمناسبة جدل يبدو أنَّه وقع بين الشاعر الأسير والدومستيك (سليل الملوك) Domestique أي الإمبراطور نقفور فوقس Nicephore Phocas حول فضل الروم والعرب. طبقًا لما يشير إليه التمهيد للقصيدة. ويبدو أنَّ نقفور قد قال لأبي فراس متهكمًا إنَّ العرب ليسوا أهل حرب، بل أهل قلم. ويبدو أنَّ الحمداني العزيز قد هبَّ يدفع الإهانة وردَّ على الامبراطور بجسارة أنَّ أسياف العرب لا أقلامهم هي التي أنجَزَت غزوات قومه المظفَّرة"[14]؛ فكلا الشخصيَّتين يحاول الحِجَاجَ عن قومه مستخدمًا الحُجج والأدلَّة العقليَّة التي تبرهن على صدق دعواه.

كما أكَّد (كانار) أنَّها مناظرة حقيقيَّة وقَعَت بالفِعل بين أبي فراس وامبراطور الروم الدُّمُستُق في بلاطه بالقسطنطينيَّة، وأنَّها بعيدة كُل البُعد عن الخيال؛ فهي "حقيقة وأنَّها لا بُد قد وُضِعَت بعد اللقاء بينما لم يزل أبو فراس مصطليًا بنار الثورة. كذلك الأمر بالنسبة لقصيدة أُخرى حفِظَت ذكرى جدل لاهوتي بين نفس الشخصيَّتَين"[15]، يعود الباحثان للتأكيد على الطابع الحجاجي والجدلي لهذه القصيدة، وسيتطرَّق الباحثُ إلى تحليل القصيدة الثانية المُشار إليها وذلك في حينه.

ومع ذلك تبقى القصيدتان في نظرنا ردودًا حِجاجيَّة عمَّا يُمكِن أن يوجَّه إلى العرب من تُهَم تنال من مروءتهم أو شجاعتهم؛ فالقصيدتان تمثّلان مناظرةً بين طَرَفَين يرويها – على حدِّ قولِ المؤرِّخين – راوٍ واحدٍ من وجهة نَظَرِه.

ينبغي قبل أن نوضِّح الأبعاد الحجاجيَّة لمناظرة أبي فراس للدُّمُسْتُق أن نعرف – ابتداءً – من هو القائد البيزنطي الذي ناظَرَ أبا فراس حينما كان أسيرًا في بلاد الروم، ذلك هو القائد الرومي الذي اصطدم مع سيف الدولة الحمداني في حروبه وغزواته، وتكاد تتَّفق الروايات العربيَّة على أنَّ حروب سيف الدولة كانت ضد (الدُّمُسْتُق) حتى الشاعر المتنبي يذكر الدُّمُسْتُق في كثيرٍ من قصائده وكذلك أبو فِراس على أنَّه اسم القائد البيزنطي؛ فقد نطَقَت العربُ اسمه بأنَّه الدُمُسْتُق[16]، ولكنَّ مؤرِّخي الغرب يثبتون عكس ذلك فكلمة (الدُّمُسْتُق) لقب أو صفة من الصفات مثل قيصر أو كِسرى، وغيرهما من الألقاب، أمَّا اسم القائد البيزنطي الذي خاض الحروب ضد سيف الدولة فهو نقفور فوكاس.

عُنِي الباحثُ الكبير الدكتور سامي الكيالي بالتحقيق التاريخي لشخصيَّة الدُّمُسْتُق، فتَتَبَّعه في كتابات المؤرخين الغربيين وانتهى إلى أنَّه نيقفور فوكاس، وأنَّ كلمة (الدُّمُسْتُق) من الألقاب البيزنطيَّة وتعني ضابط البلاط، ثم قال: "تبيَّن لنا بعد البحث أنَّ معنى الدُّمُسْتُق في الألقاب البيزنطيَّة هو (ضابط البلاط)؛ لأنَّ كلمة (دُمُسْتُق) مشتقَّة من كَلِمَتَي Grand Domestique وهي الصفة التي كان يحملها نقفور فوكاس القائد العظيم في عهد قيصر الروم قسطنطين السابع وكان لقبه Grand Domestique de Seholer d,orient أي ضابط البلاط في أيام الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة"[17].

وقد ذَكَرَه ابن العديم (ت660هـ) في كتابه زبدة الحلب، قائلًا: "وكان نقفور بن الفُقاس الدُّمُسْتُق، قد دوَّخ بلاد الإسلام، وانتزَعَ من أيدي المسلمين جُملةً من المُدُن، والحصون،

والمعاقِل"[18]، وقد أوردَ ابنُ الأثير أنَّ سيف الدولة الحمداني أمير حلب، والدُّمُستُق قائد الروم، ماتا في السَّنة نفسها وهي 356هـ[19].

وقدَّمَ ابنُ كثير (ت 774هـ)، ترجمةً لذلك القائد البيزنطي، وعرَّفه بأنَّه النقفور ملِك الأرمَن واسمه الدُّمُسْتُق، وقد أشار إلى جبروته وظُلمِه، واغتصابه لبلاد المسلمين قسرًا، قائلًا: "كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلبًا، وأشدّهم كُفرًا، وأقواهم بأسًا، وأحدّهم شوكةً، وأكثرهم قتلًا وقتالًا للمسلمين في زمانه، استحوذ في أيَّامه – لَعَنَه الله – على كثيرٍ من السَّواحِل، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسرًا"[20].

وقد اقتَضَت طبيعة الدراسة أنْ تُقَسَّم إلى قِسمَين: الأوَّل نظري، يُعنَى فيه الباحث بالحديث عن المُناظَرة لُغةً واصطلاحًا، والثاني تطبيقي، حيث أوردَ الباحِثُ قصيدَتَيْن من روميَّات أبي فراس تضمَّنتا مناظرته لملك الروم المُسَمَّى بـ(الدُّمُسْتُق)، يحاول الباحثُ من خلال تحليل الأبيات إبراز أهم التقنيات الحجاجيَّة البلاغيَّة، القديمة منها والمُعاصِرة، التي استعان بها أبو فراس لإفحام الدُّمُسْتُق، وإبطال دعواه أمام المتلقي (الجمهور)، ممَّا يُثبِتُ أنَّ المُناظَرةَ فنٌّ أصيلٌ من فنون الحِجاج قلَّ من يُجيدُه من الشُّعَراء.

مفهوم المُناظَرة لُغَةً واصطلاحًا:

أ- المناظَرة لغةً:

وردَ في لِسان العرب أنَّ المناظرة هي: " أن تُناظِر أخاكَ في أمرٍ، إذا نَظَرْتُما معًا كيف تأتيانه. والتناظُر التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك في الأمر وتُناظِرُه، وناظَرَه من المُناظَرة. والنظير: المثل. وقيل المثل في كُلِّ شيء، وفُلان نظيرك أي مثلك لأنَّه إذا نظر إليهما النَّاظِر رآهُما سواء. ويُقال ناظَرتُ فُلانًا أي صرت نظيرًا له في المُخاطَبة. وإذا قُلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكُّرًا فيه، وتدبُّرًا بالقلب"[21].

وجاء في المعجم الوسيط: "ناظَرَ فُلانٌ فُلانًا، صار نظيرًا له، وباحَثَهُ وبارَاهُ في المحاجَّة، والشيء بالشيء، جَعَلَه نظيرًا له، ويُقال: داري تُناظِرُهُ داره، تُقابلها، وتناظَرَ القومُ: نظَرَ بعضُهُم إلى بعضٍ، وفي الأمر: تجادَلوا، وتراضوا، ويُقال: دُورُهُم تتناظَر: تتقابَل، والمُناظِر: المُجادِل بالمِثْل"[22].

نتنفعُ مما جاء في معاجم العرب أنَّ ثَمَّة علاقة وطيدة بين الجدل والمناظَرَة، فالمُناظَرَة تقومُ على مُقارعة الحُجَّة بالحُجَّة، فكُلُّ طَرَفٍ من أطرافِ المُناظَرة يرغب في تغليب رأيه، وإبطال رأي خصمه، فطرفا المناظَرة يتجادلان من أجلِ أن يُقنع أحدُهما الآخَر، ومن ثَمَّ فالجَدَل آليَّة من آليَّات المُناظَرة يتوسَّل بها كِلا الطرفين لإفحام الآخر، وإبطال ادِّعائه.

والمُناظَرة في اللغة: "مصدر ناظَرَ، مأخوذة من النظر، لأنَّ كلًّا من الخِصمَين ناظِرٌ للآخَر، أو من النظير، لأنَّ كلًّا منهما نظيرٌ للآخَر، أو من الانتظار، لأنَّ كُلًّا منهما ينتظِر كلام الآخَر"[23].

ب- المناظَرة اصطلاحًا:

تأتي علاقةُ الحِجاج بالمُناظرة أنَّه لمَّا كانت المُناظَرة خطابًا لُغويًّا يتم باللغة الطبيعيَّة، ويهدف إلى التأثير وإقناع السَّامعين، فلا غرو أن تكون بالضرورة خطابًا حجاجيًّا تتبادل من خلاله كلماتُ الجدال والمناظرة والحجاج المواقعَ في بعض الكلمات[24]، ولا نبالغ إذا قُلنا إنَّ المُناظرة "تمثِّل خطاب الحِجَاج أفضل تمثيل، بل إنَّها أحقُّ الأشكال الحجاجيَّة بهذا التوصيف، لأنَّ الحجاج يصل فيها إلى أرفع مستوى له، نظرًا إلى وجود متناظِرَين ينصرفُ كلٌّ منهما إلى ترجيح رأيه من جهة بالاستدلال على صحَّته، وتقويض رأي الخِصم من جهة أُخرى بدحضه وبيان تهافته، وهو ما يجعل المناظرة تتميَّز عن غيرها من أنواع الخطاب الحجاجي الأُخرى"[25].

يعرِّفُ أحدُ الباحثين المُحدَثِين المُناظَرة بأنَّها "محاورة فكريَّة بين طرفين متخاصِمَيْن، تعالج موضوعًا محدَّدًا، يقوم أحد الطرفين بطرح الإشكاليَّة، ليسعى الخِصم لإبطالها، ويكون ذلك بالحُجَّة والبُرهان، وتدور المُناظَرة بحضور حَكَم عارف بعلم الكلام، وبأُسس المُناظَرة وقواعدها وشروطها وآدابها، تنتهي المُناظَرة بسكوت أحد الطرفين، عند انهزامه أو ارتباكه، أو بتدخُّل الحَكَم لحَسم المُناظَرة"[26]. إذا لاحَظَ تَعَنُّت أحد الطرفين رغم بُطلان منطِقِه.

وقد عرَّفَ الفيلسوف المغربي (طه عبد الرحمن) المُناظَرَة بقوله: "المُناظَرَة هي النظر من جانِبَين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، فالمناظِر من كان عارضًا أو معترضًا، وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعيًا وراء الإقناع والاقتناع بالرأي سواء أظهَرَ صوابه على يدِه أم على يدِ مُحاوِرِه"[27].

النموذج الأوَّل:

روَى لنا ابنُ خالويه، مؤدِّب أبي فراس وراوي أشعاره، أنَّه قد جَرَت مناظَرَةٌ بين أبي فراس والدُّمُسْتُق إمبراطور الروم، حينما كان أسيرًا في بلادِهم، حيث قال له الدُّمُسْتُق: "إنَّما أنْتُمْ كُتَّابُ أصْحَابُ أقلامٍ، ولَسْتُم بأصحَابِ سيوفٍ، ومن أين تعرفون الحروب؟ " فقال له أبو فراس: "نحنُ نَطَأُ أرضَكَ منذُ ستّين سنةً بالسيوف أمْ بالأقلامِ؟"(28)، ثم قال في ذلك الحال هذه الأبيات مُناظِرًا لهُ، ومستعينًا بآليَّات الحِجَاج المتنوِّعة داخل المُناظَرة التي جَعَلَها الشاعِرُ ردًا على دعوى الدُّمُستُق. يقول:

أَتَزْعُمُ يَا ضَخْمَ اللَّغَادِيدِ أنَّنا ... وَنَحْنُ أُسُودُ الحَرْبِ لا نَعْرِفُ الحَرْبَا!؟
فَوَيْلَكَ مَنْ للحَرْبِ إنْ لَمْ نَكُنْ لَهَا ؟ ... وَمَنْ ذَا الذي يُمْسِي وَيُضْحِي لَها تِرْبَا؟
وَمَنْ ذَا يَلُفُّ الجَيْشَ مِنْ جَنَبَاتِهِ ؟ ... وَمَنْ ذَا يَقُودُ الشَّمَّ أَوْ يَصْدِمُ القَلْبَا؟
وَوَيْلَكَ مَنْ أَرْدَى أخاكَ بـ "مَرْعَشٍ" ... وَجَلَّلَ ضَرْبًا وَجْهَ وَالِدكَ العَضْبَا؟
وَوَيْلَكَ مَنْ خَلَّى ابنَ أُخْتِكَ مُوثَقًا ؟ ... وَخَلَّاكَ بـ "اللَّقَانِ" تَبْتَدِرُ الشِّعْبَا؟
أَتُوعِدُنَا بالحَرْبِ حَتَّى كَأَنَّنا ... وَإِيَّاكَ لَمْ يُعْصَبْ بِها قَلْبُنَا عَصْبَا؟
لَقَدْ جَمَعَتْنَا الحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هذِهِ ... فَكُنَّا بِها أُسْدًا وكُنْتَ بِهَا كَلْبَا
فَسَلْ "بَرْدَسًا" عَنَّا أَبَاكَ وَصِهْرَهُ ... وَسَلْ آلَ "بَرْدَالِيْسَ" أَعْظَمَكُمْ خَطْبَا!
وَسَلْ "قُرْقُوَاسًا" و"الشَّمِيْشَقَ" صِهْرَهُ ... وَسَلْ سِبْطَهُ "البَطْرِيْقَ" أَثْبَتَكُم قَلْبَا!
وَسَلْ صِيْدَكُمْ آلَ "المَلَاينِ" إنَّنا ... نَهَبْنَا بِبِيضِ الهِنْدِ عِزَّهُمُ نَهْبَا!
وَسَلْ آلَ "بَهْرَامٍ" وآلَ "بَلَنْطَسٍ" ... وَسَلْ آلَ "مَنْوَالٍ" الجَحَاجِحَةَ الغُلْبَا!
وَسَلْ "بِالبُرْطُسِيسِ" العَسَاكِرَ كُلَّهَا ... وَسَلْ "بِالمُنَسْطَرِيَاطِسِ" الرُّومَ والعُرْبَا!
أَلَمْ تُفْنِهِمْ قَتْلًا وَأَسْرًا سُيُوفُنَا؟ ... وَأُسْدَ الشَّرَى الملأَى وَإِنْ جَمَدَتْ رُعْبَا؟
بأقلامِنَا أُجْرِيْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا؟ ... وَأُسْدَ الشَّرَى قُدْنَا إِلَيْكَ أَمِ الكُتْبَا؟
تَرَكْنَاكَ فِي بَطْنِ الفلاةِ تَجُوبُها ... كَمَا انْتَفَقَ اليَرْبُوعُ يَلْتَثِمُ التُّرْبَا
تُفَاخِرُنَا بالطَّعْنِ والضَّربِ فِي الوَغَى! ... لَقَدْ أَوْسَعَتْكَ النَّفْسُ يَابْنَ اسْتِهَا كِذْبَا!
رَعَى اللهُ أَوْفَانَا إِذَا قَالَ ذِمَّةً ... وَأَنْفَذَنَا طَعْنًا وَأَثْبَتَنَا قَلْبَا
وَجَدْتُ أَبَاكَ العِلْجَ(29) لَمَّا خَبَرْتُهُ ... أَقَلَّكُمُ خُبْرًا وَأَكْثَرَكُمْ عُجْبَا

اعتمد أبو فراس في قصيدته على المناظرة التي تُعَدُّ جِنسًا من أجناس الحِجاج له أركانه وطرائقه، وآلِيَّاته، فالمناظرة "ممارسة حواريَّة قائمة على التفاعُل بين مُخاطَبَيْن يشتركان في صُنع المعرفة عبر مسار حجاجي"[30]، فالمخاطِبُ هو الشاعر والسَّارد في الوقت نفسه، وهو حاضِرٌ في القصيدة ومتحكِّم في عمليَّة السَّرد، أمَّا المخاطَب أو الطرف الثاني للمناظَرة (المُحَاوَر) فهو حاضِرٌ في مناسبة القصيدة حيث أورَدَ الشارِحُ كلامه في تقديمه للقصيدة، وهو الدُّمُسْتُق مَلِك الروم الذي قال مخاطِبًا أبا فراس: "إنَّما أنْتُمْ كُتَّابٌ أصْحَابُ أقلامٍ، ولَسْتُم بأصحَابِ سيوفٍ، ومن أين تعرفون الحروب؟ فقال له أبو فراس: نحنُ نَطأُ أرضَكَ منذُ ستِّين سنةً بالسيوف أمْ بالأقلامِ؟" ثم قال قصيدته في ذلك الحال مجاوِبًا لهُ، لكنَّه مُنَاظِر غير موجود في القصيدة ذاتها، حيث استدعى الشاعرُ شخصيَّة الخصم؛ ليحاجِجها خلال قصيدته فيما أسلَفْت قوله. فأبو فراس جَعَلَها مناظرة من طَرَفٍ واحِد، وغيَّبَ الطَرَف الآخَر (المُناظِر) فَجَعَل القصيدة ردًا للدُّمُسْتُق على ادِّعائه، دون أن يُعطيه دورًا في القصيدة كطَرَفٍ أصيل من أطراف المناظرة يستطيع أن يردَّ عليه ويحاجِجه، وأن يقدِّم حُجَجًا يقوِّي بها ادِّعاءه في الحمدانيين. فلم يسمح له أبو فراس بأن يقارِعه الحُجَّة بالحُجَّة. وربَّما يكمُنُ السَّببُ وراء ذلك في أنَّ أبا فراس – لكونِه أميرًا حمدانيًّا – يتمتَّع بأنَفَةٍ وكبرياء جعلاه يستعلي على الدُّمُسْتُق فلم يمنحه شرف أنْ يكون نَدًّا له ونظيرًا في خِطابِه الشِّعري أو بعبارةٍ أدَق في مناظرته الشعريَّة؛ مخاطِبًا إيَّاه بضمير المخاطَب المُضمَر (أنتَ)؛ تحقيرًا له، وتقليلًا من شأنِه.

فالهدف من هذه المناظرة هو الفَخرُ الذي دَفَعَ الشَّاعِرَ إلى تجاهُل قائد الروم وتحقيره. ويُلاحَظ أنَّ تلك المُناظَرة ربَّما أخلَّت – نوعًا ما – بالبناء الحواري للمناظَرة الذي يقتَضي وجود مُتناظِرَيْن يقارِعُ كلٌّ منهما الآخَر الحُجَّة بالحُجَّة بهدف إقناعه أو إفحامه أو دحض حُجَجه وإبطالها، كما يَبينُ خَرَقَ الشاعِرِ التوزيعَ المُنتَظِم لأدوارَ الكَلام فلم يسمح للطَرَفِ الآخَر (المُنَاظِر) بالدِّفاع عن نفسِه ومارَسَ ما أسماه الحجاجيون في حديثهم عن طرائق المُناظَرة بـ(الاستبداد بالكلام)[31] الذي عدُّوه خرقًا للتوزيع المُنتظِم لأدوار الكلام. "وأمَّا الاستبدادُ بالكلام في الحوار فقد يُشَكِّلُ ترجيحًا لكفَّة أحد المتحاوِرَيْن، وتقوية لموقِفه. الأمر الذي يجعل من الاحتفاظ بالكلام وحيازة مبادرته آلِيَّة إقناعيَّة... ويتمظهر الاستبداد بالكلام في المناظَرات من خلال تحكُّم أحد المتناظرين في فتح وإغلاق الحوار. وهكذا يظهر أنَّ الأطراف التي تُقنِع في المناظرة أو (تنتصِر) هي غالبًا مَن يفتح المناظرات ويغلِقها"[32]. فأبو فراس هو المتحكِّم الوحيد في مجرى المناظرة وفي نتائجها، وهو مَنْ افتَتَح المُناظَرة وهو أيضًا مَن أغلَقَها.

وأمَّا عن أهم الآليَّات الحجاجيَّة وتقنيَّات الاشتغال الحجاجي لمناظرة أبي فراس للدُّمُسْتُق فتتجلَّى في اعتماده على الاستفهام الاستنكاري أو التقريري، ففي هذه المناظرة نلاحظ أنَّ السؤال له مركزيَّته وحجاجيَّته، وقد بدأ أبو فراس قصيدته بالاستفهام، وأوضَحَ جُلُّ الحجاجيين أنَّ للسؤال أبعادًا في طور افتتاح المناظرة من بينها بُعدُ التقرير، وبُعد إثارة الخلاف.

إنَّ الاستفهام حسب دلالته الحقيقيَّة أي في ارتباطه بـ(مقتضى الظاهر) وفق تعبير البلاغيين العرب القدامى، هو طلب المتكلِّم معرفة أمر مجهول لديه، وهذا ما يتجلَّى في قول ابن وهب: "ومن الاستفهام ما يكون سؤالًا عمَّا لا تعلمه لتعلمه"[33]، إلَّا أنَّ الاستفهامات المُستعمَلة في المناظَرة لا ترتبط بهذه الغايات، بل يحمِّلها المتحاوران أهدافًا إقناعيَّة؛ فالسؤال ليس سؤالًا إخباريًّا لأنَّ السائل لا يكونُ جاهِلًا بالجواب. ومن ثمَّ فالأسئلة التي افتتح بها أبو فراس مناظرته ليست أسئلة استعلام؛ لأنَّه يعلمُ نتائجها، وإنَّما هي أسئلة تقريريَّة، والتقريرُ حسب ابن وهب "يكونُ سؤالًا عمَّا تعلمه ليُقِرَ لكَ به"[34]، ويهدِف المُناظِر من خلال هذا التقرير "الإشهاد على ما يتبنَّى خصمه، لا سيَّما وأنَّ المناظرة تتم في مجلس وبحضور جمهور. كما يهدف المناظِر بسؤال التقرير تأكيد اعتقاد خصمه بوضوح حتى يحصره فيه، درءًا لأي تلبيس أو تنصُّل بعيدين من هذا الاعتقاد"[35].

لا يرتبط الاستفهام في المناظرة – إلَّا فيما ندر – بدلالته الحقيقيَّة، بل يؤدي أغراضًا أُخرى تعكس الطاقة الحجاجيَّة التي ينطوي عليها، فالغرض من الاستفهام في مناظرة أبي فراس هو الاستنكار الذي يظهر في اللحظة التي يحتدِم فيها الحوار بين المتناظِرَين، وتتضح الأبعاد الحجاجيَّة لسؤال الاستنكار في هذه المناظرة في التشهير بهزائم ملوك الروم أمام الحمدانيين.

فسؤال الاستنكار "يتوسَّله المُناظِر لتهييج الشَّك حول المواقِف التي يتبنَّاها خِصمه، إذ يضعها موضع استبعاد أو استحالة. كما يتوخَّى من خلال هذه الصيغة إرباك الخصم وإزعاجه"[36]، فالسُّؤال هُنا وسيلة لدَحْرِ الخصم إلى مواقف دفاعيَّة ينشغل فيها بردِّ النفي. والاستفهام في (أتزعم) يشير إلى أنَّ كلام الدُّمُسْتُق لا يعدو في نظر أبي فراس كونه زعمًا باطلًا وليس كلامًا يؤخَذ بعين الاعتبار.

كما بدأ أبو فراس قصيدته – فضلًا عن الاستفهام الحجاجي – موظِّفًا آليَّة حجاجيَّة مهمَّة وهي الحِجاج بالسُّخرية، فإن كان البعض "يعتبرون السُّخرية صورةً من الصور المجازيَّة تسمح بقول ما هو مختلف عمَّا نراه، في حين يعدّها آخرون شكلًا من أشكال استرجاع صدى أفكار أو ملفوظات يريد المتكلِّم أن يشير إلى تهافتها"[37]، فإنَّها – فضلًا عن هذا الدور – تؤدي دورًا حجاجيًّا حيث يكمُن

الحِجَاج في السُّخرية، فهناك صلة كبيرة بين السُّخرية والحِجَاج في الخطاب، وهو ما يهمنا في هذا البحث، حيث تعتبر السُّخرية "تناقض قِيَم حجاجيَّة، فما يسمح بقيام جملة ما ساخرة كونها حجَّة على فرضيَّة ما"[38]، ومن ثمَّ فإنَّ كل خطاب ساخر يستدعي بالضرورة وجود حجاج بين طيَّاته.

كما أنَّ السُّخرية "تتضمَّن بعض الحجج غير المباشرة، وهي حجج مترابطة فيما بينها ووثيقة الصلة ببعضها البعض، ومن أهمِّها التَّهَكُّم، الذي يُعَدُّ سِلاحًا قويًّا ووسيلة فعَّالة لاستمالة المتلقي ليقبل ويقتنع"[39]، فهو أسلوب مشوِّق للمتلقي من جهة كما يجعله يبحث عن المعنى الحقيقي العميق من جهةٍ أُخرى وللوصول إلى ذلك وجب توظيف التأويل.

وعن التوجُّه الإقناعي للسُّخرية تقول إحدى الباحثات "إنَّ خصائص التعدُّد الصوتي والتفنيد والتضمين، إضافةً إلى الطبيعة المفارقة للسخرية المثبتة لظاهر كلام يبطله باطنه، سواء أكانت نفيًا للشيء بإيجابه، أم ذمًا في معرِض المدح، أم هزلًا يُرادُ به الجد، أم تهكُّمًا، أم كل ما يسمح به (الحجاج غير المباشر) بتعبير بيرلمان، أشكالٌ بلاغيَّة مُضمَرة لنيَّة التحاج بصِيَغ متفاوتة الأثَر، لانبنائها جميعها على عنصر المواراة. الشيء الذي يوحي بكون السخرية مسافة غير قابلة للتفاوض، ويدعو إلى التفكير بكيفيَّة اشتغال البنية التواصليَّة الساخرة"[40]، ومن ثمَّ استطاعت الباحثة إلقاء الضوء على المكوِّن الحجاجي للسُّخرية من حيث اعتبارها ظاهرة للخطاب تسعى إلى التأثير في المتلقي ومحاولة إقناعه بما يُعرض عليه من طروحات.

ويقدِّم (برندونير) تعريفًا للسُّخرية "يجعل صلتَها بالحِجَاج وثيقة إذ يعتبرها تناقض قيم حجاجيَّة فما يسمح بقيام جملة ما ساخرة عنده كونها حجَّة على فرضيَّة ما. وإذا عَلِمنا أنَّ تناسُق الخطاب أو تناغمه يفترِض ألَّا يلتقي فضاء حجج الفرضيَّة الواحدة بفضاء حجج فرضيَّة هي مختلفة عنها أدركنا بيسر أنَّ الفضاءين يلتقيان متى كان المقام ساخِرًا"[41]. فقولنا لفلان (إنَّكَ ذكيٌّ) يُعدُّ في مقام عادي حجَّة تحمِل إلى نتيجة منتظرَة هي أنَّ ما يقترحه أو يراه فُلان جديرٌ بالتصديق والاهتمام. فإذا كان المقام مقام سخرية أصبَحَت الجُملة ذاتها تحتمل قراءتين القراءة الأولى تجعلها حجَّة للنتيجة المذكورة، وقراءة ثانية تجعلها حُجَّة تحمل إلى نتيجة هي مُناقِضة تمامًا للأولى وهي أنَّ ما يقوله وما يقترحه فلان غير جديرَين بالاهتمام أو الأخذ بعين الاعتبار[42].

فما يجعل جملة ما قابلة للاستعمال المقلوب والسَّاخر هو – في رأي برندونير – "امتلاكها لقيمة حجاجيَّة. بعبارة أُخرى لا يمكن قلب معنى (ب) إلَّا إذا كانت (ب) تعدُّ أوَّلًا وفي زمن محدَّد من الخطاب حجَّة ملائمة لنتيجتين متعاقبتَين لنقل النتيجة (ن) ونقيضتها"[43].

وقد وظَّف أبو فراس السُّخرية في مناظرته توظيفًا حجاجيًّا منذ البيت الأوَّل من قصيدته، وذلك في قوله مناديًا الدُّمُسْتُق: (يَا ضَخْمَ اللغاديد)؛ فهذه الجُملة تعدُّ في مقام عادي حُجَّة تقود إلى نتيجة وهي أنَّ الدُّمُسْتُق ضخم العُنُق، أو سمين الجَسَد، لكنَّ المقام الذي قَصَدَه أبو فراس هنا مقام هجاء تُناسِبه السُّخرية، وعبارة (ضخم اللغاديد) كناية لها دلالات كثيرة منها أنَّ قائد الروم رجلٌ أفوه كثير الفخر، ومنها أنَّه سمينٌ لا يُناسِب الحرب؛ لذا احتملَتْ جُملَة النِّداء (يا ضخمَ اللغاديد) قراءةً ثانيةً، وتأويلًا آخَر؛ فهي حجَّة تقود إلى نتيجة مضادَّة تمامًا للنتيجة الأولى؛ حيث جاء بها الشاعرُ تحقيرًا للدُّمُسْتُق، وتقليلًا من شأنه أمام الجمهور، كما أنَّه وظَّف السُّخرية بالإشارة إلى ضخامة جسم قائد الروم لإنكار الفروسيَّة والبطولة عليه؛ حيث يمنعه وزنُهُ الزَّائد، وضخامة جسمِه من القدرة على النِّزال في ساحات الوغى؛ فالشاعر أراد أن يرسم صورةً ساخرة لقائد الروم حتَّى يوجِّه الناس بالسُّخرية منه إلى عدم تصديق ما يقول من كلام.

ثم وظَّف الشاعرُ الحِجَاج بالسُّخرية في الشطر الثاني من البيت الثامن (فَكُنَّا بِها أُسْدًا وكُنْتَ بِهَا كَلْبَا) والضميرُ في بها للحرب؛ حيث شبَّه الشاعرُ الحمدانيين أُسودًا في خوض الحروب، وشبَّه الدُّمُسْتُق بالكلب، وشتَّان ما بين شجاعة الأُسود، وجُبن الكلاب. كما يشبِّهه في البيت الأخير باليربوع الذي يلتثم التراب ساخرًا منه ومحقِّرًا له. فنلاحظ أنَّ أبا فراس يوظِّف الحِجاج السَّاخر فتارةً يصف الدُّمُسْتُق بالكلب، وتارةً يصفه باليربوع، فالقصيدة برُمَّتِها لا تخلو من الخطاب السَّاخر الذي وظَّفه الشاعر لأغراض حجاجيَّة تمثَّلَت في رسم صورة مُهينة لقائد الروم في ذهن المتلقي، ومن ثم استدراجه إلى عدم تصديق ادِّعائه بأنَّ العربَ أصحابُ أقلام وليسوا أصحابَ سيوف، فضلًا عن تكراره ذِكر هزائم قادة الروم أمام الجمهور.

ويتَّضِحُ – من خلال الأبيات – إصرار أبي فراس على تصوير الحمدانيين بأنَّهم أُسودٌ، وفي الوقت نفسِه يصرُّ على وصْفِ أعدائهم من قادة الروم المنهزمين بأوصافٍ كثيرة تجعلهم يتحوَّلون، وينحدرون من حالة إلى حالةٍ أسوأ منها (من الكلب، إلى الفأر، إلى اليربوع)، كما أنَّ الفعل الماضي

المبني للمجهول (أُجْرِيْتَ) أي دَخَلتَ الجُحْرَ، فيه دلالة على تحقير أبي فراس للدُّمُسْتُق، كما أنَّه كناية عن جُبن ذلك القائد الذي دَفَعَه الخوفُ من بطشِ الحمدانيين إلى دخول الجُحْر كالفئران.

كما نلاحِظ تكرار فعل الأمر (سَلْ) الذي يُضاعِف عدد الشهود الذين يستعينُ بهم أبو فراس / السَّارِد، أو يستحضِرهم بأسمائهم ليدلِّل على انتصارات الحمدانيين على الروم في مواطِن مختلفة. والواقع أنَّ الهدف من توجيه الفعل (سل) سواء كان ذلك في السخرية أو الفخر ، ليس طلبيًّا بقدر ما يهدف إلى الفخر والسخرية.

ويبدو أنَّ اعتماد أبي فراس على أسلوب الأمر في صياغة هذا الخبر، هو لإبداء الاستعلاء الذي يتناسَب مع الفخر، الذي هو الهدف الأساسي لفعل الأمر.

ويلاحَظ أنَّ استخدام الشاعر لفعل الأمر (سَلْ) بهذه الصورة الكثيفة والمكرَّرة، يوحي بمدى سيادة الشاعر، وشعوره بقوَّته ومكانته بين قومه والتي تخوِّله بأن يأمُر وينهى من خلال استخدامه لأفعال الأمر وتكرارها، إذ إنَّ "تكرارها على هذه الصورة واستغلال ما فيها من نغم يشيرُ إلى فرط الإحساس بالثِّقة والاطمئنان والتَّحدِّي"(44). فأبو فراس يوظِّف فعل الأمر في التعبير عن الفخر، ويُخرِجه عن معناه الأصلي، ليدخله في دائرة الاعتزاز بالنَّفس، والسُّخرية والمواجهة، والتَّهكُّم.

ثم نجد الشاعر يحشد عددًا من أسماء القادة البيزنطيين الذين هُزِموا في معاركهم التي خاضوها ضد الحمدانيين، هذه الكثرة من القادة الروم المنهزمين تقود الحِجاج إلى نتيجة معيَّنه هي إقناع الجمهور بمدى قوَّة الحمدانيين، وشدَّة بأسِهم، كما أنَّ الشاعرَ أراد إذلال الدُّمُسْتُق فذكَّره بهؤلاء المنهزمين من قادته، حيث "أعلن أبو فراس جهيرًا علوّ شأن العرب على غيرهم واستشهد على انتصارات قومه وفضلهم، بعدَّة شخصيَّات بيزنطيَّة، وبخاصة أقارب الامبراطور ممَّن خبروا الشجاعة العربيَّة وذاقوا مُرَّ كأسِها"(45).

والملاحَظ هنا أنَّ إلحَاحَ الشَّاعرِ على استخدام أداة الاستفهام (مَنْ)، وتكرارها بشكل دائم، يعكس فخر الشاعر بنفسه وبقومه فـ(مَنْ) تحمل معنى الاستفهام عن العاقل، وتركيز الشاعر عليها، يهدف إلى وضع الشاعر وقومه في دائرة الضوء، والتأكيد على حضورهم من خلال تكراره الأداة (مَنْ).

ويتضح في القصيدة أنَّ أبا فراس يفخر بقومِهِ أيضًا على الرَّغمِ من جفوتهم له، ولعلَّ هذا مرَدَّه إلى أنَّ أبا فراس في مناظرته للروم، آثَرَ أن يظهر قويًّا بقومِه معتزًّا بهم في مواجهة الروم، ونلحظ ذلك من خلال استخدامه للضمائر؛ إذ استخدم ضمير الفاعلين (نحن) و(نا) الفاعلين، بينما نجد عكس ذلك في فخريَّاته الروميَّة المتَّسمة بالشكوى والعتاب لقومِه، إذ يبدو الفصل بينه وبينهم واضِحًا من خلال الضمائر، (متى تلِدُ الأيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتًى؟)، حيث يبرز ضمير المتكلِّم (الياء) على حدة في قوله: (مثلي)، وضمير المخاطَب للجماعة في قوله: (لكم)، وهذا انعكاسٌ لحالة الشِّقاق التي بينه وبينهم، بينما يتوحَّد الضمير في المقطوعة السَّابقة؛ ليعبِّر عنه وعن قومه مجتَمِعَيْنِ من خلال ضمير المتكلمين (نحن) و(نا) الفاعلين، وذلك في قوله: (وَنَحْنُ أُسُودُ الحَرْبِ)، وقوله: (كُنَّا بِها أُسْدًا) و(أتوعِدُنَا بالحَرْبِ؟)، وكذلك في قوله: (لقد جمَعَتنا الحربُ)، وأيضًا تكراره كلمة (سُيوفُنا) مرَّتَين التي جاءت بصيغة جمع التكسير للإشارة إلى قومه، وكذلك استخدامه لضمير المتكلِّم للجمع في (نَهَبْنَا ببيضِ الهِنْدِ عِزَّهُمُ نَهبا) فذاتُ أبي فراس تنصَهِر في ذات قبيلته؛ كي يُثبِت لقائد الروم أنَّه وقومه لُحمة واحدة حتَّى وإن تباطَؤا في افتدائه، وتركوه أسيرًا في بلاد الروم. وموقِف أبي فراس هذا من قَومِه يُذَكِّرُنا بموقف الشاعر أحمد شوقي من وطنِهِ وأهلِه، قائلًا:

بِلادِي وَإِنْ جارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ وَأَهْلِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ كِرَامُ (46)

ويبِيْنُ من خلال الأبيات أنَّ أبا فراس يُعَدِّد انتصارات الحمدانيين على الروم البيزنطيين موظِّفًا آليَّة السَّرد الاسترجاعي فهو يذكِّر الدُّمُستُق أو أراد أن يعيِّرُه بهزائم قادتهم واحدًا تلو الآخَر أمام شجاعة الحمدانيين، ونراه يستخدم زمن الفعل الماضي الذي يناسِب السَّرد الاسترجاعي مثل (أردَى – جَلَّلَ – خَلَّى – خَلَّاكَ – جَمَعَتْنَا – فَكُنَّا – وَكُنْتَ – نَهَبْنَا – أُجْرِحْتَ – قُدْنَا – جَمَدَت – تَرَكْنَاكَ – انتَفَقَ)، فتتابُع أفعال السَّرد الماضية يدلِّل على تتابُع الانتصارات، وكثرتها، ويؤكِّد كثرة هزائم الروم أمام الحمدانيين ممَّا يخدم الحِجَاج عن البطولة العربيَّة.

ثم اعتمد أبو فراس على أفعال المضارعة مثل (نعرِفُ – نَكُن – يُمسِي – ويُضحي – يُلُفُّ – يقودُ– يصدِمُ – تُفْنِهِم – تبتَدِرُ – يُعصَب– تَجُوبُها– يلتَثِمُ)؛ للدلالة على الحال والاستقبال، وللدلالة كذلك على تأصيل صفات الشجاعة للحمدانيين، وكذلك تكراره لفعل الأمر (سَلْ) عدَّة مرَّات للدلالة على كثرة انتصارات الحمدانيين مقابل هزائم قادة الروم. ممَّا يخدِم الحِجَاج.

أمَّا الصور الشِّعريَّة الواردة في الأبيات فقد وظَّفها الشاعر في خدمة الحِجَاج، تجلَّى ذلك في استعانته بالصور التشبيهيَّة في أكثر من بيت، مثل قوله: (وَنَحْنُ أُسُودُ الحَرْبِ)، وكذلك التشبيه في قوله: (فكُنَّا بِها أُسْدًا وَكُنْتَ بِها كَلْبَا)؛ فالشاعر يريد – مستعينًا بالدور الحِجاجي الذي يكمُن في وسائل البلاغة العربيَّة القديمة – أن يُقنِع المتلقي بمدى قوَّة الحمدانيين وشجاعتهم في ساحات الوغى، وأنَّ النَّصرَ حليفهم في المعارِك، وأن يُثبِت أيضًا مدى جُبْن الروم وانهزامهم فوظَّف لذلك التشبيه الحِجاجي.

يتَّضِحُ لنا من خلال تحليل النموذج السَّابق أنَّ الحوار يفقد حقيقته إذ يتحوَّل إلى حديث من طرفٍ واحد يُشبِه الرِّسالة الشِّعريَّة حيث يتحوَّل الحوار إلى رسالة أو مناظرة، ويكونُ الطَّرف الثاني من أطراف الحوار (المحاوَر) هو المتلقي، ونلاحظ في مناظرة أبي فراس للدُّمُسْتُق ملك الروم أنَّ الطرف الثاني من المحاورة، أو ما يمكننا تسميته بـ(المُنَاظَر) جاء ذِكرُهُ في الأخبار.

النموذج الثاني:

وقال أبو فراس يذكُرُ مُناظَرةً دينيَّة جَرَتْ بينَه وبين قائد جيش الروم (الدُّمُسْتُق)، فعرَّض بذلك، قائلًا[47]:

تَأَمَّلَنِي "الدُّمُسْتُقُ" إِذْ رَآنِي ... فَأَبْصَرَ صِيغَةَ اللَّيْثِ الهُمَامِ
أَتُنْكِرُنِي كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي ... بِأَنِّي ذَلِكَ البَطَلُ المُحَامِي
وَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى "دُلُوكٍ"[48] ... تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتَّصِلِ النِّظَامِ
وَلَمَّا أَنْ عَقَدْتُ صَلِيبَ رَأْيِي ... تَحَلَّلَ عِقْدُ رَأْيِكَ فِي المَقَامِ
وَكُنْتَ تَرَى الأَنَاةَ وَتَدَّعِيهَا ... فَأَعْجَلَكَ الطِّعَانُ عَنِ الكَلامِ
وَبِتَّ مُؤَرَّقًا مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... حَمَى جَفْنَيْكَ طِيبَ النَّوْمِ حَامِ
وَلا أَرْضَى الفَتَى مَا لَمْ يُكَلِّلْ ... بِرَأْيِ الكَهْلِ إِقْدَامَ الغُلامِ
فَلا هُنِّئْتَهَا نُعْمَى بِأَسْرِي ... وَلا وُصِلَتْ سُعُودُكَ بِالتَّمَامِ
أَمَا مِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ عِلْجٌ ... يُعَرِّفُنِي الحَلالَ مِنَ الحَرَامِ
وَتَكْنُفُهُ[49] بَطَارِقَةٌ تُيُوسٌ ... تُبَارِي بِالعَثَانِينِ[50] الضِّخَامِ
لَهُمْ خَلْقُ الحَمِيرِ فَلَسْتَ تَلْقَى ... فَتًى مِنْهُمْ يَسِيرُ بِلا حِزَامِ
يُرِيغُونَ[51] العُيُوبَ وَأَعْجَزَتْهُمْ ... وَأَيُّ العَيْبِ يُوجَدُ فِي الحُسَامِ![52]
وَأَصْعَبُ خُطَّةٍ وَأَجَلُّ أَمْرٍ ... مُجَالَسَةُ اللِّئَامِ عَلَى الكِرَامِ

أُنَاجِي كُلَّ طَبْلٍ هَرْمَسِيٍّ(53) عَرِيضَ الذَّقْنِ بَزَّاقِ الكَلامِ
أَبِيْتُ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَأُصْبِحُ سَالِمًا مِنْ كُلِّ ذَامِ
إِذَا ظَفِرَتْ يَدَاكَ ظَفِرْتَ مِنْهُ بِلا نَابِي العَزَاءِ وَلا كَهَامِ
وَمَنْ لَقِيَ الذي لاقَيْتُ هَانَتْ عَلَيْهِ مَوَارِدُ المَوْتِ الزُّؤَامِ
أُلامُ عَلَى التَّعَرُّضِ للمَنَايَا وَلِي سَمْعٌ أَصَمُّ عَنِ المَلامِ

يعود أبو فراس ليحاجج امبراطور الروم الدُّمُستُق مرَّةً أخرى معتمدًا على حِجاجِه السَّاخر، فيحاول أن يُثبت في هذه القصيدة فروسيَّته وشجاعته في الحروب متهكِّمًا على القادة البيزنطيين وبطارقتهم، ويتضح الحِجَاجُ بالسُّخرية من خلال لفظَتَي (الحَمير – تيوس)، فنراه يوظِّف التعبير الاستعاري في البيت التاسع فيشبِّههم بالحمير (لهُم خِلَقُ الحَمِيرِ)، ثم يوظِّف أسلوب النفي في الشطر الثاني من البيت (... فَلَسْتَ تَلْقَى فَتًى مِنْهُمْ يَسِيْرُ بِلا حِزَامِ)، فلمَّا شبَّههم بالحمير استعار لهم لفظة (الحِزَام) الخاصَّة بالحيوان؛ تحقيرًا لهم وتقليلًا من شأنهم. في حين يصِف نفسَهُ بـ(الليث الهُمام). وشتَّان ما بين التشبيهَين.

كما يُحاجِج أبو فراس في قصيدته عن البطولة العربيَّة؛ موضِّحًا صورة البطل العربي التي تمثِّلها شخصيَّته هو، فنراه يتحدَّث بضمير المتكلِّم المفرد مُعدِّدًا بعض صفات البطل العربي، فهو البطل الشجاع حين لقي الدُّمُسْتُق عند (دُلُوك) وقد أعدَّ له الثاني جيشًا جرَّارًا ومُنَظَّمًا، انتصر أبو فراس عليه، وفرَّق جيشه، وعبَّر عن نتيجة هذه المعركة بقوله: (تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتَّصِلِ النِّظَامِ)؛ للدلالة على ارتباك جيش الروم وهروبه. كما يشيرُ الشاعرُ في البيت الذي يليه إلى أنَّه بطلٌ عربيٌّ صاحب رأيٍ وخبرة في الحروب، وقيادة الجيوش، ولا يُمكِن للدُّمُسْتُق برأيه وخبرته المحدودة في الحروب أن يصمُدَ أمامه، وقد عبَّرَ عن ذلك بقوله:

وَلَمَّا أَنْ عَقَدْتُ صَلِيْبَ رَأْيِي تَحَلَّلَ عِقْدُ رَأْيِكَ فِي المَقَامِ

ويوضِّح الشاعر في البيت الذي يليه أنَّ العرَبَ أهلُ أفعالٍ لا أقوال، فيقولُ مخاطِبًا الدُّمُسْتُق: كُنتَ تدَّعي الأناة والتَّعَقُّل، فماذا حدَثَ لك؟ وجاءت النتيجة في الشطر الثاني من البيت نفسه (فَأَعْجَلَكَ الطِّعَانُ عَنِ الكَلامِ)؛ و(الفاء) هنا للسُّرعة في الرَّد بالطِّعان؛ فنحن أهل حربٍ لا نُضيِّعُ أوقاتنا في الخُطَبِ الرَّنَّانة والكلام الفارغ، كما أنَّ طعاننا لن يترك لك فُرصة الادِّعاء بالأناة والتعقُّل. وهو – كذلك – البطل الذي يبيت مُبرَّءًا من العيوب، ويُصبحُ سالِمًا من كُلِّ ذَم، كما أنَّه شُجاعٌ

يُلامُ على تعرُّضه للمنايا دون اكتراث فلا يسمَعُ لومَ اللَّائمين؛ لأنَّه يُقبل على القتال فلا يهاب الموت، تجلَّى ذلك في قوله:

أُلامُ عَلَى التَّعَرُّضِ للمَنَايا وَلِي سَمْعٌ أَصَمُّ عَنِ المَلامِ

فأبو فراس يسوقُ عددًا من الحُجَج لاستدراج المتلقي من خلال إخباره بصفات البطل العربي، تمهيدًا لإقناعه بأنَّ العرب أهل بطولات وانتصارات، كما أنَّهم شُجعانٌ في ميادين القتال لا يهابون الموت.

كما أنَّ ذكره كلمة (عِلج) في البيت التاسع، ومعناها (الكافر) تعني اتهامه للرومِ بالكُفر ممَّا يؤكِّد إيمانَ أبي فراس بأنَّ الحربَ بين الحمدانيين والروم هي حربٌ بين الإسلامِ والكُفر. وهذا يدلِّل على حِجَاج الشاعر ودفاعه عن العقيدة الإسلاميَّة؛ فـ"الحميَّة الدينيَّة في شِعر أبي فراس بارزة جدًا؛ فهو لا يكتفي بأن يطمئن إلى الإسلام ويتمدَّح به، بل هو ينفر من النَّصارى نفرةً شديدةً مصحوبة بالتحدِّي"[54]، فأبو فراس يتعجَّب من أمرَيْن: أوَّلهما: أنْ يُناظره كافرٌ في الدِّين، وثانيهما: محاولة هذا الكافر أن يعرِّفه الحلالَ من الحرَام، وقد تجلَّى ذلك في قوله:

أَمَا مِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ عِلْجٌ يُعَرِّفُنِي الحَلَالَ مِنَ الحَرَامِ

ويبدو حِجاج الشاعر عن الإسلام، وعدائيَّته للروم النَّصارى، أكثر وضوحًا في قصيدةٍ أخرى، قال فيها[55]:

وَلَكِنَّنِي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي عَلَى صَهَوَاتِ الخَيْلِ غَيْرَ مُوَسَّدِ
وَتَأْبَى وَأَبَى أَنْ أَمُوتَ مُوَسَّدًا بِأَيْدِي النَّصَارَى مَوْتَ أَكْمَدَ أَكْبَدِ
وَلَكِنْ أَنِفْتُ المَوْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ بِأَيْدِي النَّصَارَى الغُلْفِ مِيتَةَ أَكْمَدِ
فَقُلْ لابْنِ فُقَّاسٍ دَعِ الحَرْبَ جَانِبًا فَإِنَّكَ رُومِيٌّ وَخَصْمُكَ مُسْلِمُ

تتجلَّى من خلال الأبيات صورة البطل الإسلامي متجسِّدةً في شخصيَّة أبي فِراس المحارب المسلم الذي يأبَى أن يموت موسَّدًا أي على فراشِه ظنًا منه أنَّها ميتة الجُبَناء؛ فالمحارب المسلم يأبى أن يموت فطس أنفه ويفضِّل الشهادة في المعركة؛ لذا يصرِّح في الشطر الثاني من البيت الأوَّل بالميتة التي يرغبُ في الحصول عليها وهي (عَلَى صَهَوَاتِ الخَيْلِ غَيرَ مُوَسَّدِ)، كما أنَّه يأبَى أن يموت في أرضٍ غير إسلاميَّة كافرة (بلاد الروم).

كذلك يتَّضِح من خلال النموذج الثاني اعتماد أبي فراس في حِجَاجه على الاستفهام الإنكاري، وذلك في قوله: (أتُنكِرُنِي؟)، وقوله: (وَأيُّ العَيْبِ يُوجَدُ فِي الحُسَامِ!؟) نافيًا عن نفسه أيَّ عَيبٍ فالروم يحاولون جاهدين أن يجدوا له عيبًا واحدًا ولكن هيهات، فوظَّف هذا الاستفهام توظيفًا حجاجيًّا؛ لإفحامهم، وإبطال دعواهم. وكأنَّه يقول لهم: لا تُتعبوا أنفُسَكُم بالتنقيب عن عيبٍ لي، فأنا كالسَّيف الحاد الذي يحسم مادة الشَّر والخلاف. ونلاحظ توظيفه للكناية توظيفًا حجاجيًّا في قوله: (وَبِتَّ مُؤَرَّقًا مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ) للدلالة على شدَّة خوف الدُّمُستُق من هجمات الحمدانيين، فهو لا يستطيع النوم.

ونلاحظ تركيز الشاعر على تصوير العدو الرومي بضخامة الجسم، تجلَّى ذلك في البيت الثاني من خلال لفظة (الضِّخام)؛ حتَّى ينفي عن الروم الفروسيَّة في خوض الحروب، فكيف لِضَخم الجسم أن ينازِل الأبطال في ساحات الوغى، كما أنَّه يحاول توجيه المتلقي – في الوقت ذاته – إلى الاقتناع بمهارة الحمدانيين في خوض المعارك وإلَّا فكيف لهم أن يحقِّقوا كل تلك الانتصارات على الروم.

ويشيرُ الفعل المضارع (أُناجي) في البيت الرابع عشر إلى مدى معاناة الشاعر في بلاد الروم، كما يوضِّح البيت برُمَّته كثرة مناظرة الشاعر لقادة الروم وبطارقتهم (أُناجي كُلَّ طَبلٍ هِرثِمِيٍّ)، وهو يهجو كُلَّ بطريقٍ منهم في الشطر الثاني من البيت نفسه، بقوله: (عَرِيْضَ الذَّقْنِ بَزَّاقِ الكَلامِ). ويشير في البيت الأخير إلى حجم المعاناة الشديدة، التي سبَّبها له الأسر في بلاد الروم؛ فما تعرَّض له من عذابات وآلام يفوق مرارة الموت وآلامه.

خاتمة البحث:

برهن أبو فراس في مناظرته على أنَّ العربَ أهل حربٍ؛ حيث لجأ إلى استعمالِ عددٍ من الآليَّات الحِجَاجيَّة للرَّد على الدُّمُستُق وإبطال دعواه، وكان أكثرها حضورًا في المُناظَرة آليَّة الحِجَاج بالسُّخرية؛ كما اعتمد الشاعرُ على آليَّة الاستفهام الحِجاجِي الاستنكاري القائم على السُّخرية كذلك. كما اتَّكأ أبو فراس في مناظرته على أحد أهم آليَّات الحجاج في البلاغة العربيَّة وهو التشبيه الحجاجي الذي وظَّفه توظيفًا حجاجيًّا لتقريب صورة الحمدانيين المُشرقة إلى أذهان المتلقي، وكذلك لإبراز الصورة القبيحة للعدو الرومي. وقد استطاع أبو فراس التغلُّبَ على مُناظِرِه الدُّمُسْتُق، وإبطال دعواه، كما وُفِّق

في الدِّفاع عن البطولة العربيَّة التي أذَلَّت الروم البيزنطيين من خلال عَرْضِه في القصيدة الأولى لهزائم قادة الروم المتعدِّدة أمام جيش الحمدانيين.

كما وفّق في القصيدة الثانية في الحِجَاج عن الدين الإسلامي من خلال اعتماده على آليَّة الحِجَاج السَّاخِر أيضًا، كما نجحَ في أن يُثبت فروسيَّته وشجاعته في الحروب متهكِّمًا على القادة البيزنطيين، ثم جاء الحِجَاج عن البطولة العربيَّة في نهاية القصيدة.

وعلى الرَّغم من الروايات الموجودة في كُتُب التُراث الأدبي التي تُثبت وقوع مُناظَرات بين أبي فراس والدُّمُسْتُق قائد الروم، وقد أشرنا إليها سَلَفًا، وعلى الرَّغم أيضًا من مصادقة بعض المؤرخين للدولة الرومانية على تلك الروايات، تبقى القصيدتان في نظرنا ردودًا حِجاجيَّة عمَّا يُمكِن أن يوجَّه إلى العرب من تُهَم تنال من مروءتهم أو شجاعتهم؛ فالقصيدتان تمثّلان مناظرةً بين طَرَفَين يرويها – على حدِّ قولِ المؤرِّخين – راوٍ واحد من وجهة نَظَرِه.

الهوامش:

[1]- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط 2، بيروت، 2000م، ص: 68، 69.

[2]- محمود الربداوي: منهج المناظرة في التراث وأدبيات الحوار، مجلة التراث العربي، العدد 91، رجب 1424هـ، سبتمبر 2003م، السنة الثالثة والعشرون، تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب، دمشق.

[3]- الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج 1، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1983م، ص: 126.

[4]- شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، ط 7، مصر، 1968م.

[5]- ينظر: أبو فراس الحمداني: ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، ص: 95، 96.
وينظر: الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج 1، ص: 47.

[6]-ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1987م، ص: 349.

[7]- يُنظَر: أعلام الكلام، ط 1، 1926م ، ص: 25، نقلاً عن: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي – النعمان القاضي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982م، ص: 337.

[8]- الخطيب القزوينى: الايضاح فى علوم البلاغة، تحقيق أساتذة من كبار علماء اللغة العربية بالأزهر الشريف، (د. ت).

[9]-ابن خالويه: شرح ديوان أبي فراس الحمداني حسب المخطوطة التونسية المكتوبة سنة 548هـ، إعداد: محمد بن شريفة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م، ص: 127.

[10]- أبو فراس الحمداني: الديوان، شرح: خليل الدويهي، ص:209.

[11]- المرجع نفسه، ص: 162.

[12]- نفسه، ص: 165.

[13]- الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج 1، ص: 106.

[14]- ن. ادونتس، وم كانار: الروم في شعر أبي فراس (أسماء بعض الشخصيات البيزنطية في قصيدة للشاعر العربي "أبو فراس"، ترجمة: وليد الخشَّاب، مجلة نزوى، سلطنة عمان، العدد العاشر أبريل 1997م، ص: 242.

[15]- ن ادونتس، وم كانار: الروم في شعر أبي فراس، ص: 243.

[16]- ذكر الحافظ الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) أنَّ معنى الدمستق هو نائب البلاد في شرقي قسطنطينية. وفسَّر الخضري في كتابه (محاضرات تاريخ الأُمم الإسلاميَّة: الدولة العبَّاسيَّة) أنَّ الدمستق عند الروم هو الرئيس الأكبر للجيش والبطارقة قوَّاده. والصيغة الإفرنجيَّة أدق وأضبط.

- لقد عرضت بعض الروايات العربيَّة إلى ذكر نيقفور باعتباره ملك الروم واكتَفَت بصفته حين كان قائدًا معتبرةً – الدمستق اسمًا من الأسماء ومن هنا وقع الاضطراب.

[17]- سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين، المطبعة الحديثة، ط 1، حلب، سوريا، 1936م، ص: 96.

[18]-ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1996م، ص: 83.

[19]-ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ، الجزء 7، باب (ذِكر من مات هذه السنة من الملوك سنة 356هـ)، ص: 301.

[20]- أبو الفداء الحافظ بن كثير (ت 774هـ): البداية والنهاية، الجزء الحادي عشر، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1991م، ص: 243، 244.

[21]-ابن منظور: معجم لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر، ط 3، بيروت، 1994م، ص: 216 - 219.

[22]- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (نَظَرَ)، الجزء الثاني، دار الفكر العربي، بيروت، ص: 932.

[23]- هارون عبد الرازق: فن آداب البحث والمناظرة، تعليق: محمد هارون، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، ط 1، الكويت، 2017م، ص: 14.

[24]- ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: التحاجج والتناظر: آليَّات كشف التغليط، وآداب التناظر في تراث بن حزم الأندلسي (384هـ - 456هـ)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص: 1042.

[25]- مصطفى الغرافي: الخطاب الحجاجي في البيان العربي: دراسة في التشكلات والمقومات – المناظرة - ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص: 114.

[26]- مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي (من تأويليَّة المعنى إلى تأويليَّة الفهم)، عالم الكتب الحديث، ط 1، تونس، 2009م، ص: 72.

[27]- طه عبد الرحمن: في أُصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط 2، بيروت، 2000م، ص: 46.

[28]- أبو فراس الحمداني: ديوان أبي فراس، شرح : خليل الدويهي، ص: 31، 32.

[29]- العلج : الكافر.

[30]- عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ط 1، الرباط، المغرب، 2013م، ص: 131.

[31]- انظر: المرجع نفسه، ص: 190.

[32]- عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 193.

[33]- إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، ص: 94.

[34]- المرجع نفسه، ص: 94.

[35]- عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 212.

[36]- المرجع نفسه، ص: 218.

[37]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، 2011م ص: 164.

[38]- المرجع نفسه، ص: 164.

[39]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط 1، بيروت، 2004م، ص: 475.

[40]- أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2011م، ص: 30.

[41] -BERRENDONNER Alain .1989: «De l'ironie». In: Eléments de pragmatique linguistique. Paris: Minuit, PP. 184-185.

[42]- ينظر: برندونير: عناصر البراغماتية اللسانية، منشورات مينوي، 1982م، ص: 182، نقلًا عن: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنياته وأساليبه ، ص: 164- 165.

[43]- ينظر: المرجع نفسه، حاشية، ص: 165.

[44]- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربيَّة، بيروت، 1984م، ص: 217.

[45]- ن. ادونتس، وم كانار: الروم في شعر أبي فراس، ص: 241، 242.

[46]- أحمد شوقي: ديوان الشوقيَّات، مج 2، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988م، ص: 50.

[47]- الأبيات بديوان أبي فراس، شرح: خليل الدويهي، ص: 318، 319.

[48]- دلوك: بلدة في العواصم.

[49]- تكنفه: تحيط به.

[50]- الثعانين: اللحى، ومفردها: لحية.

[51]- يريغون: يطلبون.

[52]- الحسام: هو الذي يحسم مادة الشر والخلاف.

[53]- الهرثم: الأسد.

[54]- عمر فروخ: أبو فراس فارس بني حمدان وشاعرهم، مكتبة منيمنة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1954م، ص: 44.

[55]- أبو فراس الحمداني: الديوان، شرح: خليل الدويهي، ص: 96، 97.

المصادر والمراجع:

1-إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر العربي، ط 2، بيروت، لبنان، 1971م.

2-ابن الأثير عز الدين (ت630هـ): الكامل في التاريخ، إعداد: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 4، بيروت، لبنان، 2003م.

3- أحمد شوقي: ديوان الشوقيَّات، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988م.

4-إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، مطبعة الرسالة، ط 1، القاهرة، 1969م.

5-أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 1، الدار البيضاء، 2011م.

6- الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1983م.

7- حافظ إسماعيلي علوي: التحاجج والتناظر: آليَّات كشف التغليط، وآداب التناظر في تراث بن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط 1، إربد، الأردن، 2010م.

8-ابن خالويه: شرح ديوان أبي فراس الحمداني حسب المخطوطة التونسية المكتوبة سنة 548هـ، إعداد: محمد بن شريفة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م.

9- الخطيب القزويني: الإيضاح فى علوم البلاغة، تحقيق أساتذة من كبار علماء اللغة العربية بالأزهر الشريف، مصر، (د. ت).

10- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، 2011م.

11- سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين، المطبعة الحديثة، ط 1، حلب، سوريا، 1936م.

12- شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، ط 7، مصر، 1968م.

13- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط 2، بيروت، 2000م.

14-عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ط 1، الرباط، المغرب، 2013م.

15- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط 1، بيروت، 2004م.

16-ابن النديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1996م.

17-عمر فروخ: أبو فراس فارس بني حمدان وشاعرهم، مكتبة منيمنة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1954م.

18-أبو فراس الحمداني: ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1994م.

19- أبو الفداء الحافظ بن كثير (ت 774هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1991م.
20- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربيَّة، بيروت، 1984م.
21- محمود الربداوي: منهج المناظرة في التراث وأدبيات الحوار، مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، العدد 91، رجب1424هـ، سبتمبر 2003م، السنة الثالثة والعشرون.
22- مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي (من تأويليَّة المعنى إلى تأويليَّة الفهم)، عالم الكتب الحديث، ط 1، تونس، 2009م.
23- مصطفى الغرافي: الخطاب الحجاجي في البيان العربي: دراسة في التشكلات والمقومات – المناظرة - ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط 1، إربد، الأردن، 2010م.
24- ابن منظور: معجم لسان العرب، دار صادر، ط 6، بيروت، لبنان، 1997م.
25- ن. ادونتس، وم كانار: الروم في شعر أبي فراس (أسماء بعض الشخصيات البيزنطية في قصيدة للشاعر العربي (أبو فراس)، ترجمة: وليد الخشّاب، مجلة نزوى، سلطنة عمان، العدد العاشر، أبريل 1997م.
26- النعمان القاضي: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982م.
27- هارون عبد الرازق: فن آداب البحث والمناظرة، تعليق: محمد هارون، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، ط 1، الكويت، 2017م.
28- BERRENDONNER Alain. 1989: «De l'ironie». In: Eléments de pragmatique linguistique. Paris: Minuit, PP. 184-185.